هذه حوصلة النقاشات بين مبعوث المركز ولجان الفروع في فرنسا، إثر الاعلان عن الوحدة بين تونس وليبيا. وقد كان الهدف من هذه البعثة تعميق النقاش فيما يخص هذا الحدث وتوضيح موقفنا منه. وكان من المستحيل تعميق النقاش في هذا الموضوع وفهم الموقف الذي اتخذه تنظيمنا منه بدون تقييم مواقفنا من المسألة القومية، وكان لازما وضع هذا في إطار تقييم الصراع بين الخطين في تنظيمنا وتطور مواقفه بصفة عامة ومواقفه من المسألة القومية بصفة خاصة وذلك بارتباط بهدف البعثة.

I تقييم الصراع بين الخطين في تنظيمنا :

إن تطور الصراع بين الخطين في تنظيمنا مربوط ارتباطا شديدا بتاريخ وتطور تنظيمنا على كل المستويات وذلك بارتباط بتطور الوضع في بلادنا وعلى المستوى العربي والعالمي. ولذلك فإنه عندما نتكلم على تقييم الصراع بين الخطين إنما نتكلم على تقييم التطور الذي عرفه تنظيمنا في مواقفه وممارسته النضالية وطبيعته الطبقية، من وجهة نظر الصراع بين الخطين الذي هو محرك هذا التطور ومفتاح فهمه. وننقسم تطور التنظيم وتاريخه إلى ثلاث مراحل كبيرة :

1) 63 - 1967 : مرحلة الصراع ضد الانتهازية اليمينية.
2) 67 - 1973 : مرحلة الصراع ضد الانتهازية اليسارية.
3) الفترة الحالية : الصراع لتدعيم الخط البروليتاري ومقاومة كل الانحرافات والتيارات البرجوازية الدخيلة.

1) 63 - 1967 : الصراع ضد الانتهازية اليمينية :

أ- نشأة التنظيم : وقع الاعلان على "التجمع التونسي للدراسات والعمل الاشتراكي" في سبتمبر 63. وتمتاز الفترة التي وقع فيها هذا الاعلان بإفلاس سياسة البرجوازية التقليدية التي لم تستطع تدعيم الاستقلال الداخلي. فبعد سبع سنوات على الاستقلال مازالت قطاعات هامة من الاقتصاد الوطني في أيدي المعمرين الفرنسيين، ولم يستطع النظام حل المشاكل المطروحة عليه لتنمية الاقتصاد وتلبية حاجيات الجماهير ومنذ ذلك الوقت أظهر عجزه على حل مشكل البطالة إذ ارتفع عدد البطالين - حسب إحصائياته - إلى 300.000 بطال[1] ونتج عن هذا الافلاس أزمة عامة دفعت ببعض الناقمين إلى محاولة الانقلاب التي أخافت النظام وجعلته يرد بعنف وتطلب ظهور في منع كل تنظيم سياسي غير الحزب الحاكم (منع الحزب "الشيوعي" وبداية هيمنة الدستور على كل المنظمات التوعوية.

(1) عام 1961

وأمام هذه الأزمة، بدأت تظهر معارضة لسياسة النظام العاجزة على حل المشاكل الحيوية للشعب، وأول ما نشأت في الأوساط المثقفة وخاصة عند الطلبة الذين كان أغلبهم وقتها في باريس حيث أن الجامعة التونسية مازالت صغيرة وجديدة العهد. وكانت الحركة الطلابية، خاصة في باريس، تحت تأثير ثلاث تيارات برجوازية: القوميون العرب (تجمع الاشتراكيين العرب) والتحريفية (الحزب "الشيوعي" التونسي) والتروتسكية (كناك). ولكن انتهازية هاته التيارات جعلتها عاجزة على استيعاب الطاقات الثورية الجديدة وتبقى أتباعا لها. فنشأة تنظيمنا كتجاوز لهاته التيارات ولفتح "آفاق" للطاقات الثورية الناشئة[2]. وهكذا كان ميلاد "التجمع التونسي للدراسات والعمل الاشتراكي" لتطور الوضع في بلادنا وتلبية طلبات لم تكن التيارات الانتهازية الأخرى قادرة على إرضائها.

(2) ارجع إلى افتتاحيتي العدد الأول والثاني من "آفاق"

ب- تطور التنظيم وأول صراع كبير بين الخطين : لقد كان ميلاد تنظيمنا كما لاحظنا انتصارا ومكسبا ثمينا، ولكن هذا المكسب كانت له حدوده الموضوعية والذاتية. فلقد نشأ التنظيم وسط الحركة الطلابية في باريس. والطلبة في ذلك العهد في باريس، كلهم من أصل برجوازي كبير خاصة وبرجوازي صغير، وكانوا خارج البلاد بعيدين عن الشعب، وحتى عندما عاد أغلب الاطارات القيادية عام 1968 إلى البلاد فإن أكثرهم أنهى تعليمه ليكون له منصبا اجتماعيا عاليا (أساتذة في الجامعة مهندسين، محامين .. الخ ...) وبقي عليهم 7 في الجامعة والأوساط المثقفة.

النضالي

ثم إنه رغم القطيعة الظاهرة مع التيارات البرجوازية المؤثرة على الحركة الطلابية، فلقد بقي تنظيمنا تحت تأثير هذه التيارات.

وكان التنظيم رغم كونه يضم أجذر الطاقات الثورية للحركة، تنظيما إصلاحيا ينادي من أجل إصلاحات في إطار النظام القائم ولا يطرح مسألة تحطيم هذا النظام بالثورة. ولقد ساعد على

تطوّر هذا التيار الاصلاحي اليميني - بالاضافة إلى العوامل السابقة - صعود رأسمالية الدولة. فبعد فشل سياسة البرجوازية التقليدية، وبروز اتجاهها الاصلاحي [سياسة التعاضد - تعميم التعليم ... الخ] فوجدت التيارات التحريفية والتروتسكية قاعدتها الموضوعية. فبينما اتبع التحريفيون سياسة "المساندة المشروطة" وجدت الأطروحة التروتسكية القائلة بأن البيروقراطية طبقة مستقلة عن البرجوازية ومصالحهما متناقضة، الظروف مواتية لتشجيع وبث سياسة "الدخول في الحزب الحاكم" وتغليب البيروقراطية على البرجوازية، ودفع الأولى للقيام بإصلاحات جذرية. أما تنظيمنا فقد وجد نفسه أمام وضعية جديدة غير التي نشأ فيها، ولم يكن له تحليل واع لهذه الوضعية، وضوح واضح وصوّب تجاهها. ووقع التيار الاصلاحي اليميني أكثر فأكثر تحت تأثير التيارات الانتهازية الأخرى وأصبح ينادي علنا بضرورة الدخول في الحزب الدستوري وفي النظام. لأن الحزب الدستوري - حسب زعم هذا التيار اليميني - ليس حزب طبقة واحدة، وإنما هو جبهة تضم كل القوى والطبقات في البلاد. أما الدولة فليست جهاز هيمنة طبقة على بقية الطبقات، وإنما هي حكم بين كل الطبقات وقوتها [دولة بونابارطية] (4)

(4) أنظر "آفاق" عدد 9: "اليسار التونسي والاشتراكية الدستورية"

إلا أن عوامل أخرى ساعدت على خلق تيار ثوري في تنظيمنا ومقاوم لهذا التيار الاصلاحي اليميني. فبرغم ثابتين الوجه الحقيقي للبرجوازية الدولة إذ عمدت إلى فرض سياستها بالقوة وقمع الجماهير الشعبية [حوادث مساكن] وارتمت في أحضان الامبريالية الأمريكية التي كانت تمول النظام عن طريق البنك العالمي "للتنمية" [بنك ساكنارة] وتتآمر للاستحواذ على بنزرت وتحويل بلادنا إلى قاعدة عسكرية لها. فأصبحت معارضة الجماهير الشعبية وخاصة في الأوساط الطلابية لهاته السياسة عامة وبومية.

وكانت الحركة الطلابية بدورها تعارض هاته السياسة، وتجذرت معارضتها له خاصة بوصول الأفواج الأولى من أبناء الشعب إلى الجامعة. وكان تنظيمنا يعمل في الأوساط الطلابية، ويستوعب كل الطاقات الثورية الجديدة، فدخل العنصر الشعبي - الطلبة القادمين من أوساط شعبية - التنظيم، خاصة وأن التيارات السياسية الأخرى - أساسا التحريفية والتروتسكية - قلّ تأثيرها بسبب انتهازيتها التي جعلت منها ذيلا للنظام لا أكثر ولا أقل. وجاءت هذه الطاقات الثورية الجديدة لتقاوم التيار الاصلاحي اليميني. وهما غذّى الصراع بين الخطين، في ذلك الوقت، اشتداد الصراع على المستوى العالمي بين الماركسية اللينينية والتحريفية، وانطلاق الثورة الثقافية البروليتارية في الصين. ولعبت السفارة الصينية في تونس دورا كبيرا في التعريف بها وبالماركسية اللينينية ومقاومة التحريفية.

كل هذه العوامل تظافرت لخلق تيار ثوري في تنظيمنا أصبح يشكل عام 65 - 1966 قوة أمام التيار الانتهازي اليميني. وتمكن من هزم سياسة "الدخول في الحزب الدستوري والنظام" رغم أن جوهر تحليل طبيعة النظام والحزب الدستوري بقي هو هو [أنظر الكتيب عدد 1]

وقد حاولت القيادة في ذلك الوقت فرض التعايش السلمي بين الخطين وكلما احتد الصراع تتدخل لتقول: "ترفقوا! سوف أعطيكم أرضية وبرنامجا" (والتاريخ يعيد نفسه!) وظل الصراع بين الخطين يتقدم والجناح الثوري ينتصر شيئا فشيئا إلى أن جاءت 1969 وحطم مواقع الانتهازية اليمينية وطرد ممثلوها من صفوفنا، وكان هذا مكسبا في تاريخ تنظيمنا وحركتنا إذ أعلن تنظيمنا لأول مرة انتماءه للماركسية اللينينية وأفكار ماو تسي تونغ، وطرح شعار الالتحام بالشعب، وبناء حزب الطبقة الشغيلة لقلب النظام القائم وتعويضه بنظام ثوري يلبي مطامح ورغبات شعبنا، وأعلن تنظيمنا معاداته للتحريفية كأخر ملجأ للبرجوازية ومقاومته لها كعدوة للثورة البروليتارية وللماركسية اللينينية.

2) 67 - أكتوبر 1968: الصراع ضد الانتهازية اليسارية:

لقد كان للنصر الذي حققه تنظيمنا سنة 1967 بتصفية الخط الاصلاحي اليميني، ومقاومة التحريفية وإعلانه الانتماء إلى الماركسية اللينينية، حدود موضوعية. فرغم طرحه شعار الالتحام بالشعب فإن هذا الشعار لم يصبح واقعا، وبقي العمل أساسا في الأوساط الطلابية، وهكذا بقي طابعه الطبقي برجوازيا صغيرا. ثم أن استيعابه للماركسية اللينينية كان محدودا جدا، وهذه العوامل مجموعة تمثل قاعدة موضوعية للمثالية واليسارية، والإرادية لا تحكم على الواقع حكما علميا بل تنظر إليه بطريقة مثالية فترى أهدافها قريبة - أقرب منها إلى الواقع - وقد شجع على هذا التيار اليساري التحالف مع التروتسكيين الذي دفعت إليه عدة عوامل - فبالإضافة إلى عدم استيعاب الماركسية اللينينية استيعابا حقيقيا وعميقا، والطبيعة البرجوازية للتنظيم الصغيرة للتنظيم، كان التروتسكيون هم بدورهم ضد التحريفية، وكانت تحاليلهم النظرية تجد قاعدة موضوعية في تطور الرأسمالية آنذاك

والذي كان يعطي لتحاليلهم مظهرا من الصحة جعل التنظيم يتبناها. ومن هنا جاء الخط التروتسكي والمواقف التروتسكية التي نقاومها حتى اليوم ومنذ ذلك الوقت في صفوفنا. ثم إنهم لما شاهدوا الانتصارات التي حققتها الثورة الثقافية البروليتارية والتي استعطبت كل الطاقات الثورية على المستوى العالمي، وضعوا قناع التروتسكية - الماوية الذي لا يتناقض مع التروتسكية (وهذا تيار وُجد على المستوى العالمي، لا في تونس فقط) كل عائلة العوامل شجعت على التحالف مع التروتسكيين الذين التحقوا بالتنظيم، مباشرة في الجبهة الشعبية وذلك لقوتهم في النضال السياسي. وكان "الكتيب الأخضر" [الثورة الفلسطينية في خطر] تتويجا بالثورة في تونس نتيجة أولى لهذا التحالف. ثم كانت نضالات 67 - 1968 في الأوساط الطلابية والتي كان التنظيم على رأسها، وكانت التصرفات والمناشير التي تنادي بشعارات لا طاقة للحركة الثورية لتطبيقها.. فأصبح شعار تحطيم جهاز الدولة البرجوازي وتعويضه بدكتاتورية البروليتاريا شعارا تحريضيا [أنظر تصريح التنظيم المؤرخ في 30 جانفي 1968]. وعلى قاعدة عدم فهم دور الحركة الطلابية، وقع دفع جمهور الطلبة إلى القيام بمهام الماركسيين اللينينيين في الالتحام بالشعب وتنظيمه، فكانت حركة مارس 1968 وما سبقها من نضالات في الأوساط الجامعية.

وكان لابدّ لهذه الممارسة اليسارية، وهاته النظرة المثالية أن تصطدم بالواقع وتنتهي إلى تعديل خطها. فقام العدو بهذا الدور وذلك بالقمع الذي تسلط على كل الطاقات الحيّة للتنظيم في مارس 1968 - فمكّن من إحياء الصراع لتقييم هاته الممارسة ومقاومة الانحرافات اليسارية وهكذا بدأ الصراع الكبير الثاني بين الخطين ولكنه ظلّ مدة طويلة صراعا بين تيارين في إطار خط واحد قبل أن يصبح صراعا بين خطين متباينين.

وينقسم الصراع في هاته الفترة إلى 3 مراحل:

أ- مارس 1968 - مارس 1970
ب- مارس 1970 - 1971
ج- 1972 - آخر 1973

أ- مارس 1968 - مارس 1970:

لقد كان من نتائج القمع الذي ذهب بأغلب الطاقات لتنظيمنا أن أظهر الوجه الحقيقي للكثير من العناصر التروتسكية الذين خانوا، ومكّن من إعادة الصراع السياسي والايديولوجي في صفوفنا حول تقييم ممارستنا والقمع الذي أدّت له. وبدأ الصراع ضد الخط التروتسكي الذي كان مهيمنا للأسباب المذكورة سابقا. ولكن الصراع في هاته الفترة ظلّ جزئيا، ولم يكن يرفض الخط التروتسكي كاملا، وإنما بعض أجزائه، أي أنه لم يقاوم من وجهة نظر استراتجية وإنما من وجهة نظر تكتيكية. فضل الصراع في إطار الخط التروتسكي - ولكن رغم هذه الحدود فقد مكّن من إضعاف الخط التروتسكي، وخرجه قليلا قليلا - ولقد دار هذا الصراع أساسا حول هاته المسائل:

• التكتيك والنضال من أجل الديمقراطية: كان التيار التروتسكي يرفض النضال من أجل الديمقراطية والأهداف التكتيكية، التي يمكن تحقيقها في إطار النظام القائم، ولا يعتبر إلا الأهداف الاستراتجية البعيدة: الثورة الاشتراكية ودكتاتورية البروليتاريا. فوقع الصراع ضد هذا الموقف اليساري المتطرف، وصار الاقتناع بضرورة النضال من أجل الديمقراطية والإصلاحات.

• ستالين وتروتسكي: كان التيار التروتسكي يرفض ستالين ويقول بأن ماوتسي تونغ وتروتسكي لا فرق بينهما. فوقعت مقاومة وهزم هذا الموقف البرجوازي وصار الاعتراف بستالين كقائد من قواد البروليتاريا العالمية، وتروتسكي كمرتد وخائن للماركسية اللينينية والبروليتاريا.

وفي علاقة بهذه المسألة وقع الصراع على مصطلح الثورة الديمقراطية الوطنية الذي كان التيار التروتسكي لا يعترف به كإصلاح ماركسي، فهُزم وأقرّ الجميع صحة هذا المصطلح وثورية هذا المبدأ. ولكن الصراع بقي على مستوى المبادئ ولم يتبلور الصراع على طبيعة الثورة في تونس.

• المسألة الفلاحية: كان التيار التروتسكي يعتبر نضال الفلاحين من أجل الأرض قبل عام 1956 نضالا رجعيا [الكتيب عدد 5] فوقعت مقاومة هذا الموقف وهزم. إلا أن الصراع لم يقع على المسألة الزراعية بعد 1956 حتى الآن، فبقي التحليل التروتسكي هنا مهيمنا.

• الخط الشيوعي العالمي: كان التيار التروتسكي يعتبره غير موجود، وانتهى الصراع

في هاته المسألة بالاعتراف بوجود خط شيوعي عالمي.
وكانت لهذه الصراعات حدودها الموضوعية إذ وقعت في السجن وبمعزل عن كل ممارسة نضالية فعلية وسط الجماهير الشعبية وعن منشورات الحركة الشيوعية العالمية، ولكن هاته الظروف مكنت من تكوين نظري وإيديولوجي وتعلم سوف يعطي ثماره فيما بعد.

ب - مارس 1970 - أفريل 1971 :

بعد الخروج من السجن في مارس 1970، جاءت عدة عوامل لتغذي الصراع السياسي والإيديولوجي في صفوف التنظيم. فبخروج كل الرفاق من السجن، انتهت العزلة، وبدأ الالتحام بالطبقة الشغيلة. فبدأت تطرح عدة مشاكل لم تكن الدراسة النظرية وحدها كافية لطرحها، وبدأ التثوير الإيديولوجي تجد قاعدته الموضوعية والعوامل المشجعة له في ممارسة الالتحام بالجماهير الشعبية حيث "الأفكار الصحيحة".
أما العامل الهام الأخير فهو التغيرات التي عرفتها البلاد بعد أزمة 1969، حيث أن الاختيارات الاقتصادية والسياسية الجديدة فتحت أبواب البلاد على مصراعيها للهيمنة ونهب الامبريالية العالمية، وهجم كبار الملاكين في البوادي تشجعهم الحكومة بالقروض والقوانين، واضطر صغار وفقراء الفلاحين إلى ترك أراضيهم لهؤلاء الملاكين مقابل ديون تراكمت، ليبقوا فقط رحمتهم، أو ليذهبوا يضخمون جيش العاطلين في المدن بحثا عن عمل لا يجدونه إلا وراء البحار، في الهجرة.
هذا في الداخل، أما على المستوى العالمي، فقد تدعم انتصار الماركسية اللينينية على التحريفية بالتباين النهائي مع التيارات البرجوازية والبرجوازية الصغيرة من تروتسكية وقيفارية وغيرها. وقد مكن الخروج من السجن من الاتصال بمنشورات الحركة الشيوعية العالمية والاستعانة بها على فهم الواقع في بلادنا.
كل هذه العوامل ساعدت على بعث الصراع من جديد على مسائل تهم الحركة الثورية في بلادنا، ولها علاقة بطبيعة الثورة - إلا أن هذا بقي دائما في إطار الخط التروتسكي حتى أفريل 1971 - وهذه أهم المسائل التي وقع عليها الصراع في هاته الفترة :

• الديمقراطية و"الجبهة الديمقراطية الموحدة" : نتذكر كيف كان التيار التروتسكي على مواقف يسارية، ويرفض النضال من أجل الديمقراطية. ولكن من خصائص التروتسكية والانتهازية هي أنها إذا هزمت يسارا تتنقل يمينا، ويبقى الجوهر هو، هو: الانتهازية والمواقف المتخاذلة - وهذا ما وقع للتيار التروتسكي. فعندما عاد المستيري للحكم في جوان 1970، ومعه الوعود المعهودة بالديمقراطية، وأراد النظام بعد محاكمة بن صالح استرجاع ثقة الجماهير وتهدئة غضبهم بما سماه "الاستشارة الشعبية" انزلق التيار التروتسكي في الانتهازية اليمينية وأصبح ينادي بالتحالف مع المستيري والتيارات البرجوازية الصغيرة في إطار ما أسماه "بالجبهة الديمقراطية الموحدة" بينما مهمتنا "بناء حزب العمال" أي تنظيم البروليتاريا تنظيما مستقلا لقيادة مثل هاته الجبهة وكل الحركة الثورية - والتحالف بين الطبقة الشغيلة والفلاحين لم يقع منهما شيئا. وهذا معناه تحويل الحركة الثورية والشعبية إلى ذيل للبرجوازية. فوقعت مقاومة هذه النزعة التخاذلية العادية لصالح الثورة والبروليتاريا، وانتصر التيار البروليتاري على هذه النزعة التروتسكية اليمينية.
• المسألة الثانية التي وقع عليها الصراع هي مسألة الالتحام بالطبقة الشغيلة، فعندما لاحظ التيار البرجوازي الصعوبات في تحقيق هذه المهمة، لم ينظر إلى هاته الصعوبات من وجهة نظر الخط والمواقف التي هي السبب الحقيقي لها. وفضل العدول عن الالتحام وذلك وراء عدة تبريرات (السرية، والظروف الغير ملائمة) وظهرت نزعة الرجوع إلى الجامعة حيث العمل أقل صعوبات، فوقعت مقاومة هذه النزعة من طرف التيار البروليتاري.
• ومن المسائل الهامة التي وقع عليها الصراع، المسألة الزراعية. فبينما كبار الملاكين صحوا في الريف التونسي يبتلعون أراضي صغار وفقراء الفلاحين بأكثر مما كانت عليه الحال قبل التعاضد، تمان التيار التروتسكي يقول بأن "الرأسمالية في البوادي التونسية تتطور بسرعة أمريكية" ويصفقون لذلك لأنه "موضوعيا يقربنا من الثورة الاشتراكية، إذ يساعد على تقوية صف البروليتاريا" ولا يرون ما يقاسيه جمهور الفلاحين الذين يفقدون أراضيهم من دون أن تجدوا شغلا وذلك لأن التطور الرأسمالي أكل ضربة بسقوط برجوازية الدولة التي كانت هي بدورها عاجزة على تطويره بسبب هيمنة الامبريالية.
وتواصل الصراع على هاته المسائل الحيوية، بينما طبيعة النظام تظهر كل يوم أكثر بهجوم الامبريالية المتصاعد على اقتصادنا وطرد عشرات الآلاف من أبناء شعبنا للهجرة وتدهور الحالة العامة للجماهير الشعبية في المدن والأرياف - فساعد كل هذا على توضيح

التناقضات، و تبيين القوات المحركة للثورة والأعداء الحقيقيين للشعب. ولم يأت أفريل 1
حتى أصبح الصراع - على ضوء تطور الوضع في بلادنا - صراعا بين خطين متباينين:
- الخط التروتسكي القائل بأن التناقض الأساسي هو بين البرجوازية التونسية والبروليتا
وأن هذا التناقض لا تحل إلا بالثورة الاشتراكية بانتفاضة البروليتاريا (ولا يعطي أهمية
للقوى الاجتماعية الأخرى، ولا لهيمنة الامبريالية) بقيادة الحزب الشيوعي.
- والخط الماركسي اللينيني البروليتاري، خط الثورة الديمقراطية الوطنية الذي يرى أن
التناقض الأساسي هو بين مجموع الشعب والامبريالية وعملائها، وأن هذا التناقض لا
تحل إلا بالحرب الشعبية الطويلة المدى، في إطار جبهة شعبية تنظم كل القوى الثورية
وترتكز على التحالف المتين بين الطبقة الشغيلة والفلاحين الفقراء وتحت قيادة حزب
شيوعي ماركسي لينيني.
وكان الخط الثاني (الخط البروليتاري) هو الذي يقود التنظيم في الداخل، ولكن القمع الذي تسلط
في أفريل 1971 (اعتقال أحمد بن عثمان من جديد) جعل الجناح الماركسي اللينيني يغادر
البلاد، لتفادي القمع (وهناك نقد ذاتي في هذا الشأن تجب أن يقع) بدون أن تكون
له إمكانية تدخل فعلي لتعميم الصراع بين الخطين. فاختفى التيار التروتسكي هذا الفراغ
لاسترجاع قيادة التنظيم في الداخل. وتمادت هذه الحالة حتى فيفري 72، حيث تبدأ
مرحلة أخرى.

ج - فيفري 72 - أوت 1973:
الحالة في تلك الفترة: كان التنظيم في الداخل ضعيفا قمع جديد بمناسبة نضالات جانفي
وفيفري 1972، رغم أنه لم يقم بدوره في قيادة الحركة وتوجيهها نظرا للخط الذي كان يتبعه
وموقفه من حركة الشباب.
أما في الخارج فقد وصلت الحالة في فرع باريس إلى درجة أن كان الانقطاع تاما مع البلاد،
ووقفت الجريدة عن الصدور، وانقسم الفرع إلى شقين: شق دغمائي صنشق، وشق
عفوي يرفض الخوض في النقاش السياسي. وفي هاته الظروف التحق مناضلون من الداخل
(على مواقف الثورة الاشتراكية) بباريس حيث وصلوا الرفاق الذين غادروا البلاد عام 1
على مواقف الثورة الديمقراطية الوطنية. وأمام الوضع الذي كان عليه التنظيم في الداخل
والخارج، وقع التحالف بين الاتجاهين لتأسيس "اللجنة التنظيمية المؤقتة" على قاعدة
أرضية دنيا تمتاز بالتعايش السلمي بين الخطين، وبوضعها مصالح التنظيم في مرتبة
القيادة على حساب السياسة ومصالح الجماهير. وهذا الخط الانتهازي لم يمكن من طرح
المشاكل، وحتى الصراع ضد العفويين والدغمائيين بقي سطحيا، ولم يقع تعميقه
وتعميمه بصورة تسمح لكل التنظيم بمقاومة هذه الاتجاهات البرجوازية، لأن
الصراع بقي محصورا على مستوى القيادة. وهذا ما يفسر تأثير العفوية والدغمائية
في صفوفنا إلى اليوم.
على أنه رغم الحدود المذكورة للقاعدة التي تكونت على أساسها "اللجنة التنظيمية
المؤقتة" فقد مكنت من إخراج التنظيم من وضعية التشتيت التي كان عليها، وتقديم
العمل في فترة أولى، خاصة وأن الظروف كانت تساعد على تطور من القاعدة للتنظيم،
أي تطور تلقائي كان ممكنا في فترة الصعود التلقائي للنضالات والحركة الشعبية.
فكان هذا التطور يدفع بقاعدة التنظيم إلى التقدم والارتباط بالنضالات
بطريقة عفوية. وليس على قاعدة الأرضية التي كانت معمولة نسبيا من طرف المناضلين
في القاعدة [مثال: المواقف والدور الذي لعبته فروعنا في إضرابات الجوع في فرنسا]
وهنا تجدر الملاحظة أن "الأرضية" اللجنة التنظيمية المؤقتة "لم تكن تعتبر قاعدة
للعمل إلا في الخارج حيث المركز يشرف مباشرة على العمل [وإن كان إشراف المركز على
محل الفروع، واحترام هذه الأرضية له حدود كبيرة، وأكبر دليل على ذلك القطيعة النسبية
التي كانت بين المركز والفروع أثناء إضرابات الجوع] أما في الداخل فبعد خروج الرفاق من
السجن في سبتمبر 1972 وضعت قيادة الداخل [والتي كانت على خط الثورة الاشتراكية]
للهياكل الجديدة برنامجا ذا 15 نقطة تختلف عن الأرضية المؤقتة *
ولكن التطور التلقائي للحركة الشعبية، والتقدم العفوي للتنظيم في فترة صعود النضالات
كان لا بد له أن ينتهي إلى مفترق: إما أن تجد قيادة تتبع له آفاقا وتنير له
الطريق، وبالتالي تسمح له بمواصلة التقدم وإلا فالتقهقر والأزمة والتفتت.
وبما أن المركز كان عاجزا - على قاعدة أرضية التعايش السلمي - على قيادة الحركة
والتنظيم، وحمل التناقضات التي طرحها تطور النضالات الشعبية، وانتشار التنظيم

بارتباط بها، فإن المشاكل بدأت تتراكم، والقاعدة ترى الأزمة قادمة ولا تعرف كيف تجابهها. فتتوجه إلى المركز، ولكن هذا الأخير كان يكتفي بتوجيهات عامة بسرعان ما فهم المناضلون حدودها، ولم تكن كافية لإرضاء حاجياتهم.

كانت هاته المشاكل والتناقضات التي يطرحها النضال والقاعدة تثير الصراع من حين لآخر ولكن سرعان ما يهدأ وترجع الأمور كعادتها. ولئن كان للقاعدة مسؤولية في هذا الجمود للصراع الطبقي وسط التنظيم، فإن المسؤولية الأساسية على عاتق الجناح الماركسي اللينيني في القيادة لأنه لم يقم بواجبه في الصراع ضد الخط الانتهازي الذي كان من أوعى الناس به، وقبل معه التعايش السلمي، وهكذا رفع الخط البرجوازي يريد طمس التناقضات وتعطيل الصراع الطبقي زمنا طويلا على حساب الحاجيات النضالية والثورية.

وتمادت هذه الحال والمشاكل تتراكم من دون حل حتى تحولت إلى تناقضات بين المركز والقاعدة، وخاصة بينه وبين التنظيم في الداخل: فأمام عجز المركز على القيام بدوره كقيادة، وقع التنظيم في الداخل في الخراف تصفوي يرفض الاعتراف بوجود قيادة توجيهية ويقول بوجود مركزين: مركز في الداخل ومركز في الخارج. وحادت هذه التناقضات لتتضح حدا للتعايش السلمي وتطرح مشكل الخط على مستوى أوسع وأشمل وأعمق من أي وقت مضى.

ولقد طرح تطور النضال وانتشار التنظيم بارتباط بهذا التطور، مشكلا حيويا أكثر في علاقة صعود الفاشية. فمنذ صيف 1973 ونحن نعيش سباقا مع الساعة بيننا وبين العدو الذي كان يستعد لضرب التنظيم والحركة الشعبية، إذ لا يمكن مجابهة هذا الخطر من دون خط سياسي وإيديولوجي وتنظيمي صحيح. فعاد الصراع بين الخطين قويا، لتحديد سياسة شجاعة تمكن الحركة الشعبية الثورية من الحفاظ على مكاسبها والصمود أمام هجوم الفاشستية. وهنا تجب لفت نظر كل التنظيم للدور الرجعي الذي لعبه التيار التروتسكي في القيادة لتعطيل الصراع، وبالتالي للوقوف ضد تحديد سياسة تمكننا من مجابهة الخطر الذي يهدد الحركة الثورية والجماهيرية في بلادنا.

وقد وقع الصراع على عدة مسائل منذ بداية سنة 1973، وهذه أهم المسائل التي دار حولها صراع في القيادة (1):

- المشاكل التي يطرحها التنظيم في الداخل، وخاصة مشكل الدعاية والتحريض الذي أخذ منه التنظيم في الداخل موقفا يساريا بينما أرضية "لجنة القيادة المؤقتة" كان لها موقفا يمينيا [بينما الأرضية تهمل مشكل التحريض، كان التنظيم في الداخل يعطيه أهمية أساسية على حساب الدعاية.
- مسألة بن صالح.
- خط الحركة التروتسكية العالمية وموقفنا منه.

وقد مكنت هذه الصراعات من استقبال وفد عن التنظيم في البلاد والتوحيد معه على قاعدة خط الثورة الديمقراطية الوطنية، وذلك في اجتماع أكتوبر الذي اتخذ فيه القرار بأن تدخل المركز سوف يكون منذ ذلك الوقت على قاعدة خط الثورة الديمقراطية الوطنية. وعندما عاد الوفد إلى البلاد، عمم الصراع بين الخطين وتم التوحيد هناك في شهر نونبر - قبل القمع على قاعدة خط الثورة الديمقراطية الوطنية. [انظر تقييم ل.ق]

وفي دجنبر وقع اجتماع في المركز، اتخذ فيه قرار لتعميم الصراع والقيام بتصحيح الخط على مستوى كامل التنظيم، ولكن هاته القرارات بقيت على مستوى المبادئ، خاصة وأن الانتصارات السياسية لخط الثورة الديمقراطية لم يكن لها انعكاسها التنظيمي على مستوى توزيع المهام في المركز. وفي التطبيق ظهر التيار التروتسكي - انطلاقا من مواقع النفوذ التي كانت له في المركز - تشبثه بالمواقف القديمة في عدة مسائل هامة، وعمل على تعطيل الصراع. فلم يسمح هذا بالتقدم في تعميم الصراع على مستوى التنظيم ولا في حل المشاكل المتراكمة والاستجابة لحاجيات التنظيم والوضع. أي أن المركز بقي عاجزا على القيام بدوره كقيادة. فتراكمت التناقضات بدون حل. وبدأ العدو يهاجم التنظيم في الداخل والخارج. وهو عاجز على أخذ المبادرة وإعطاء تعليمات لتفادي الضربة. وهكذا استطاع العدو ضرب تنظيمنا في الداخل (نونبر - دجنبر 73) وفي الخارج والمركز لم يستطع أكثر من إعطاء توجيهات تنظيمية على قاعدة الأرضية القديمة، أي الخط اللانتهازي الذي يضع التنظيم في مرتبة القيادة، لا المهام السياسية وحاجيات النضال والجماهير.

(1) فيما تخص محتوى الصراعات المذكورة، تجب الرجوع إلى محاضر الجلسات والنصوص التي وقعت في هذا الشأن.

(2) من خلال النقاشات التي وقعت مع كل الفروع، التدخل الذي وقع من طرف المركز في أكتوبر - نونبر لم يكن على قاعدة القرارات التي اتخذت في اجتماع أكتوبر وإنما على قاعدة الأرضية القديمة وأراد معالجة الأمور من الناحية التنظيمية والإيديولوجية ولم يعط المشاكل السياسية.

وتمادت الأمور على هاته الحال إلى أن جاء الاعلان عن الوحدة بين تونس وليبيا، وكان لا بدّ من تحديد موقف من المسألة القومية، حتى نأخذ موقفا صحيحا من هذا الحدث الهام. فتوقع الصراع على المسألة القومية وحدّ الانزلاقات السابقة، الناجمة عن الخط التروتسكي، وعلى الوضع في العالم والمنطقة. ولما وصل الصراع إلى الموقف من الحدث، كان التيار التروتسكي يرى أنه يكفي اتخاذ موقف مبدئي من دون إعطاء هذا الحدث أهمية خاصة، ولا يجب أن نأخذ موقفا مخالفا للمواقف السابقة قبل تعميم النقاش على مستوى التنظيم على المسألة القومية. وهكذا مرّة أخرى يوضع التنظيم موضع القيادة لا جماهير الجماهير والنضال وأخذ موقف من الوضع والأحداث، بما قد على تطوير الحركة الثورية.

أما التيار الماركسي اللينيني فكان يرى أن هذا حدث عام تحمّست له الجماهير ولا يمكن أبدا أن نبقى متفرّجين أمام الأحداث ومعزولين على الحركة الجماهيرية. وكان يعتقد أن هذا الحدث قادر أن يعطي نفسا جديدا للحركة الثورية بعد التمع الأخير، ويسمح لها بالارتباط أكثر بالجماهير، وذلك إذا أخذنا موقفا صحيحا، موقف نضال يمكننا من استرجاع قوانا. ويمكن الحركة الشعبية من تحقيق مكاسب، باستقلال عن القيادات المتخاذلة والمتذبذبة. وإن مثل هذا الموقف لا يمكن أن يكون إلا إيجابيا تجاه الوحدة، مع إعطائها محتوى غير الذي تريده لها الرجعية والبرجوازية الوطنية الليبية، محتوى يلبي الحاجيات الحقيقية للجماهير ويتماشى والأهداف الاستراتجية للحركة الثورية.

وكان الجناح الماركسي اللينيني يرى وجوب النظر إلى المشكل من زاوية حاجيات النضال والجماهير، وأخذ مسؤوليتنا على هذا الأساس حتى ولو خرق المركزية الديمقراطية والمبادئ التنظيمية. أي تجب وضع السياسة في مرتبة القيادة لا التنظيم.

وفي هذا الصراع انضم الخط الماركسي اللينيني على الخط التروتسكي الذي حاول عبثا الاختفاء وراء المبررات التنظيمية (١). وأخذنا الموقف الذي تعلمونه. ونطلب من كل الرفاق أن تحاسبونا من وجهة نظر محقة أو عدم محقة هذا الموقف السياسي. لأن هذا هو الأساس لا من وجهة نظر احترامنا أو عدم احترامنا للمركزية الديمقراطية ونحن نعلم أننا لم نحترم المبادئ التنظيمية، وقد كان لزاما علينا حرقها للقيام بواجبنا كثوريين في تلك الظروف. وقد كنا واعين بالمشاكل التي سوف يطرحها موقفنا على المناضلين في القاعدة، ولكنها فضلنا الاستجابة لحاجيات الوضع والجماهير والنضال. على أن نرسل فيما بعد بعثة لكل الفروع لتعميق النقاش وتوضيح الموقف وتعميم الصراع. وما هذه البعثة إلا خطوة أولى سوف تتلوها سلسلة.

وقبل الانتهاء من الحديث عن تاريخ الصراع بين الخطين في تنظيمنا والانتقال إلى آفاق هذا الصراع تجب التأكيد على أن الصراع ليس ضدّ أشخاص بل هو ضدّ أفكار غالطة تجب تخطيها ولو أدّى ذلك إلى تصفية عناصر متشبثة بها تلك الأفكار ولا تقبل التنازل عنها. ولكن هذا شأن الأقلية ممن هم على أفكار غالطة، وإلى حدّ الآن ليس هناك مناضلون أظهروا هذا، ولكن هذا لا يعني أن وجود مثل هاته العناصر في صفوفنا مستحيل، وعلينا أن لا نتردد في القيام بواجبنا الثوري تجاههم.

وعلينا أن ننتبه إلى الأشكال التي تأخذها مختلف الانزلاقات أثناء الصراع، فمن خاصيات اليسار أنها إذا أوقفت مقاومتها شمالا تظهر يمينا، والعكس. ولذلك عندما نقاوم انزلاقات يمينية علينا أن نحذر من الوقوع في انزلاقات يسارية أو العكس، ولتصريح 20 جانفي 1964 فيه أكثر من عبرة في هذا الشأن.

الآفاق:

هناك عبرة علينا استخلاصها من هذا التقييم السريع للصراع بين الخطين في تنظيمنا، وهي أنه لا تجب أبدا طمس التناقضات وكبت الصراع في صفوفنا، وقبول التعايش السلمي مع الخط البرجوازي، مهما كانت الاعتبارات. وقد ارتكب الجناح الماركسي اللينيني هذه الغلطة فسمح للانتهازية بأن تترعرع في صفوفنا، ورضخ للخط البرجوازي ولم يقم بواجبه في الصراع لفرض المواقف الصحيحة والخط البروليتاري.

ولها الرضوخ أسباب ذاتية أساسية وأسباب موضوعية ساعدت عليه. أما الأسباب الذاتية وهي الأساسية فترجع إلى النظرة البرجوازية التي ترى المسائل من وجهة نظر تنظيمية بحتة أي من وجهة نظر مصلحة التنظيم في حدّ ذاته، لا من وجهة نظر سياسية أي من وجهة نظر مصالح الثورة والبروليتاريا. وهذا الخلل خطير تجب مقاومته في صفوفنا. أن نظرتنا للتنظيم تجب أن ترضخ لمصالح الثورة والبروليتاريا، لا العكس.

(١) وفي هاته المرة، كان للنصر السياسي انعكاسه على المستوى التنظيمي وذلك بإعطاء المسؤوليات الأساسية - الكتابة السياسية - في المركز للجناح الذي دافع على المواقف الصحيحة - وعلينا أن نستعد لإعادة تنظيم كل هيأكلنا على قاعدة الصراع السياسي والايديولوجي وليس على قاعدة اعتبارات أخرى.

وإن تحليلنا على هذا المبدأ الثوري - مبدأ: السياسة وحاجيات النضال والجماهير في مرتبة القيادة - هو الذي فعل الصراع في صفوفنا وجعل الانتهازية تنخر تنظيمنا بصورة لا تمكنه من القيام بواجبه الثوري تجاه نضال وحاجيات شعبنا. كما ينبغي - وعلى كل الرفاق - مهما كان مكانهم في التنظيم - أن يسهروا على احترام هذا المبدأ في كل وقت، وأن يقاوموا كل انحراف عنه، مهما كان مصدره.

أما الأسباب الموضوعية التي ساعدت على صمود الصراع ضد الخط التروتسكي فهي الطبيعة الطبقية للتنظيم المتكون أساسا من: مثقفين لهم نظرة مثالية ولا يرون إلا الأهداف البعيدة: دكتاتورية البروليتاريا والشيوعية - وعمال لا يرون إلا التناقض الذي يعيشونه بحدة ألا وهو الذي يضعهم وجها لوجه مع البرجوازية التي تستغلهم مباشرة، ولا يرون التناقض الذي تحرك كل المجتمع وهو الذي يقابل الشعب من ناحية والامبريالية وعملائهما من ناحية أخرى.

وبالإضافة إلى هذين العاملين، صمد خطنا تجاه الطبقات الشعبية الأخرى [وخاصة الفلاحين] الذي تحمل دون إعطاء أهمية لمطالب هذه الطبقات ودورها في الثورة.

أما وقد صار لنا وعي اليوم بخطورة الانحرافات التي كانت لنا وبرجعية الخط الذي كنا عليه فيجب تدعيم هذا المكسب بتعميم الصراع على كل التنظيم بكل صياكله، حول المسائل التي لها ارتباط بتوضيح خطنا. وعلينا أن نقاوم العقلية التي تزحزح في صفوفنا - والمركز مسؤولية أساسية في ذلك - والتي تهدف إلى طمس الصراع بصورة جعلت المناضلين في القاعدة يترقبون نزول الخط من السماء، وكأن المركز وحده سوف يسطر الخط ويبني الحزب، وليس على المناضلين إلا التطبيق. تجب أن نتربى بالصراع ومن أجل الصراع، وعلى قاعدة الصراع ضد كل الانحرافات، وتطبيق المبدأ الذي أكد عليه المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الصيني: مبدأ معارضة التيار، ومقاومة الأفكار الخاطئة مهما كان مصدرها - ومهما كانت مرتبة الهيكل أو المسؤول الذي صدرت عنه. وهذا لا يتنافى والمركزية الديمقراطية، لأن المركزية الديمقراطية - وكل المبادئ التنظيمية - في خدمة الأفكار الصحيحة ومصالح الثورة والبروليتاريا وليست لتمكن التيار البرجوازي من تعطيل الصراع، مثلما عودتنا السياسة الانتهازية التي اتبعها المركز ورباها في نفوسنا إلى حد الآن.

لقد حقق التيار الماركسي اللينيني انتصارا في الصراعات الأخيرة ولا سبيل لتدعيم هذا المكسب إلا بمواصلة الصراع ضد كل المواقف الانتهازية وعلى كل المسائل. والصراع في بدايته تجب تغذيته بصورة دائمة إلى أن تحطم كل مواقع الخط التروتسكي في صفوفنا، ونبني خطا ثوريا بروليتاريا. ويدخل هذا الصراع في عملية توضيح الخط، ووضع برنامج ثوري (بمشاركة كل المناضلين وأطراف التنظيم) من أجل الإعلان القريب عن أول حزب شيوعي ماركسي لينيني في الوطن العربي وفي إفريقيا. وهذه مسؤولية كبيرة على عاتقنا، تجب أن نقوم بها على أكمل وجه، ولا سبيل لنا إلى ذلك إلا بتشريك كل المناضلين في هذا الصراع التاريخي، حتى نقطع مع الطرق الانتهازية السابقة. وحتى يتمكن الرفاق الذين برزوا في النضالات الأخيرة، وخاصة العمال من أخذ مكانهم ومسؤولياتهم في قيادة حزبهم - ولذلك تجب دعم النواة الماركسية اللينينية في القيادة اليوم وهاته الطاقات الثورية الشابة والعمالية. ومن ناحية أخرى تجب علينا جميعا وعلى الرفاق العمال بالخصوص، أن نجعل من هذا الصراع فرصة لرفع مستوانا النظري وتحصيل استيعابنا للماركسية اللينينية، حتى نتمكن جميعا من فهم واقعنا فهما علميا وتأديته مهامنا بكل حزم ومسؤولية. وحتى يتمكن الرفاق العمال من تسلم وافتكاك قيادة الحزب والثورة.

وعلى المناضلين والهياكل أن يشمروا على سواعدهم لتحقيق هاته المهام، ولتقييم وتقويم ممارستنا كاملة، وأن يأخذوا مسؤولياتهم كاملة في تحطيم الخط الانتهازي القديم وتدعيم الخط البروليتاري وتشييد حزبنا على ضوء هذا التقييم.

- إلى الأمام من أجل الإعلان عن الحزب !

- لنجرؤ على الصراع والنصر حليفنا !